نشأة المدن الأولى في سورية والعراق

كندة عبد العزيز عبد الغني

قسم الآثار – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق

الملخص

مانزال دراسة تاريخ المراكز المدنية القديمة في بلاد الرافدين العليا وسورية ، وخاصة في المدن الدائرية المحاطة بأسوار مستديرة ، والتي عثر عليها في جنوب وغرب مجرى نهر الخابور وفي جوار جبل عبد العزيز.

وانطلاقاً من هذا فإن نشوء المدن في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، وهو مثار بحث من قبل الكثير من علماء الآثار الذين كانوا يقومون بأعمال التنقيب ، والكشف عن هذه المدن أو مركز المدينة ، كما يسمى أيضاً دويلات المدن في بلاد مابين النهرين .

تشير أغلب نتائج الحفريات التي جرت في المواقع والتي تعود لفترة منتصف الألف الثالث قبل الميلاد من خلال دراسة الأشكال المعمارية إلى أن المدن قد بنيت وفق مخطط مسبق ، وأصبح لها قواعد وأصول أكثر تنظيماً من قبل . سواء كان في المخطط العام أو في شكل البناء أو في مواد الإنشاء وأسلوبها ، وهذا نتج بعد ثورة مدنية شملت مختلف نواحي الحياة ، وبعد ظهور قوى سياسية استطاعت أن تقوم

المقدمة:

لقد كانت المدينة مركز إشعاع للحضارات على مر العصور ، وما بقي من هيكلها ومحتواها كان التراث الذي يتحدث عنه الآخرون ، كما أن المعلومات التكميلية لصور متعددة لمدن أثرية حفرت جزئياً لا تقدم لنا طبوغرافية حقيقية لكل المدن ولكل الفترات الزمنية . إلا أن هذا لا يعني أنه لا يمكن الحصول على صورة دقيقة للمدينة ، ولكن يجب علينا أن نوجد معياراً للتمييز بين القرية والمدينة لنتمكن من تحديد (القرية والمدينة الأولى) .

مفهوم القرية والمدينة عبر التاريخ :

لقد ظل التمييز بين القرية والمدينة غير معروف حتى العصور الأوربية الوسطى حيث كانت المدينة مؤسسة اجتماعية واضحة المعالم لكنها على صلة وثيقة بالأرض وفعالياتها . فقد أكد ترافليان بأن المدينة الانكليزية في القرن الرابع عشر كانت مجتمعاً ريفياً زراعياً بجانب كونها مركزاً للتجارة والصناعة، تحيط بتلك المدن غير المسوّرة الحقول حيث يزرع كل مواطن بريطاني أرضه ويرعى ماشيته في مرعى المدينة المشترك .

إن لويس ممفورد يعتقد بأن الفرق بين القرية و المدينة يكمن في عنصرين:

١- مركز اجتماعي منظم (المعبد مثلاً) يستقطب جميع أركان بنية المجتمع .
٢- مجموعة المباني والمرافق المتميزة التي أوضحت قدرة الإنسان ، وقللت اعتماده على الأرض وزادت سيطرته على البيئة مثل الطرق

المعبدة والجسور ، ومشاريع الري وتنظيم مياه الشرب والحرف الصناعية (ممفورد ، ١٩٦٤).

لقد كانت الفروق بين القرية والمدينة في المدن القديمة ذات منحى متميز فقد أكد (أدمز) بأن هناك خصائص مشتركة لبعض المدن القديمة مثل :

أ-**وجود المباني العامة كالمعابد والقصور** : في مركز المدينة التي تمثل المركز الأعلى مستوى من ناحية الخدمات والي تتفرع منه شبكة الطرق العامة الرئيسية .

ب-**دور الطبقة الغنية من السكان**: والتي تقع على امتداد الطرق الرئيسية وتمتاز بسعة مساحتها وتعدد غرفها ، بينما تقع أحياء الطبقة الفقيرة من السكان خلف الأحياء السكنية للطبقة الغنية ، وهي ذات مساكن صغيرة المساحة على جانبي الأزقة الضيقة والملتوية .

ت-**الميناء** : ويقع على أبواب المدن ويكون مركزاً تجارياً .

ج-**الأسوار** : تحاط أغلب المدن بأسوار وخنادق لحمايتها من هجمات القبائل المتجولة وأطماع الحكام المجاورين.

د-**منطقة الضواحي** : وتقع خارج الأسوار حيث تتواجد الحقول الزراعية والمراعي التي تحتضن القرى كمراكز للاستيطان (Mumford,1958) .

لقد ذهب جايلد إلى اعتماد الاختراعات العلمية والكتابية ، وتقسيم العمل والمباني العامة والتركيب الطبقي الاجتماعي وحجم السكان والتجارة الخارجية وجمع الضرائب كأساس للفرق بين المدينة القديمة والقرية . لقد وصف جايلد أواخر العصر الحجري الحديث للتفريق بين القرية والمدينة بأنه ثورة حضارية Urban

Revolution أو مولد الحضارة حيث اعتمد على نتائج الثورة الصناعية وقد كان مصطلحاً لايخلو من المبالغة .

لقد ظلت طلائع المدن القديمة محافظة على علاقتها التقليدية بالزراعة ، والتي يمكن أن نسميها (بالمدن الزراعية) التي كانت الأرض مصدراً لقوتها وغذائها إلى أن بدأت طلائع التطور التكنولوجي في العصر الحجري المعدني وتقدمت وسائل النقل والتعدين .

إن تلك الأسباب أدت إلى توسيع نفوذ المستوطنة البشرية الاقتصادي والاجتماعي والسياسي حيث أدى هذا التطور إلى التقليل من اعتمادها على مواردها المحلية ، فظهرت نتيجة لذلك المراكز الحضارية التي أطلق عليها اسم (المدن) خلال وبعد (٤٠٠٠-٣٥٠٠ ق.م) مثل أريدو وجمدة نصر وأور وكيش(مكاي ، ١٩٥١) .

إن المصطلح السومري والأكادي بالنسبة للمستوطنات البشرية لم يفرق بين القرية والمدينة حيث أطلقت كلمة (أورو) بالسومرية و(أولو) بالأكدية ، وهو يشمل كل مستوطن دائري يحتوي بيوت مشيدة من اللبن والأكواخ (كوردن ، ١٩٤٢) .

نشأة وتطور القرية :

إن المراحل التكوينية التي مرت بها القرية توضح بأن الارتقاء والتطور الذي رافق نشأة تلك المستوطنات عبر التاريخ الطويل كان دائماً تطور له أبعاد اجتماعية واقتصادية وعمرانية أثرت فيه روح تلك العصر أو الفترة التاريخية المعينة بكل ما فيها من مظاهر للتطور ، فقد أثر التطور الاجتماعي الذي تناول علاقة الإنسان بالإنسان والأسرة والمجتمع بكل ما أحاط به من عادات وتقاليد محلية ، فكانت العبادات وتخصص العمل والإدارة والتنظيم بكل مستوياته المعينة في هرم تلك

المجموعة البشرية ذات الخصائص الحضارية المعينة والتي سميت في عصر فجر السلالات بدويلات المدن .

إن التطور الاقتصادي الذي شمل الفعاليات والأنشطة الاقتصادية المختلفة ، والتي بدأت بالزراعة وتربية الحيوان ثم تطور الصناعات والحرف اليدوية ، والذي أدى من خلال زيادة فائض الإنتاج إلى الحاجة إلى تبادل السلع ثم تصدير ذلك الفائض خارج حدود تلك المستوطنات (التجارة) . إن سيطرة الإنسان النسبية على المياه لأغراض الزراعة وتطور تقنيات واستخدام المعادن ، وتنظيم عمليات الخزن للسلع الزراعية وتطور وسائل النقل والمواصلات قد تمت عبر الفترة الزمنية التي أشرنا إليها سابقاً لتوضح أهمية تخصص العمل والإدارة ، والذي أشرنا إليه أعلاه في تسيير الشؤون الاقتصادية في تلك المستوطنات والتي حصلت فيما بعد إلى (الحكام) و(الأمراء) ثم (الملوك) .

إن التطور الاجتماعي والاقتصادي رافقه تطور عمراني تناول التخصص في استعمالات الفضاءات المعينة الذي رافق التوسع في مباني الخدمات المختلفة والوحدات السكنية .

إن ظهور طبقات مختلفة من السكان كالعمال والمزارعين و التجار والكهنة والحكام على مر العصور يتطلب مستويات وخصائص غير متطابقة من العمارة والأبنية التي تناسب وظائف وحجوم ومواقع فضاءاتها الداخلية ذلك المستوى الاجتماعي والاقتصادي للمستفيدين من تلك الأبنية . لذا جاء تطور العمارة في تلك العصور ضمن سياق وتسلسل منطقي يوازي التطور الاجتماعي والاقتصادي الذي مر عبر التاريخ على تلك المستوطنات (البدراوي ، ١٩٨٥) .

لقد تميز الفكر السومري بتحديد شكل العلاقة بين المدن وما حولها حتى صارت الأشكال الوظيفية لمدنهم تعكس العلاقة بين الكفاءة الوظيفية للمستوطنات وسعة أقاليمها المحيطة بها منطلقين من نقطة مفادها هي : إنعاش المدينة وظيفياً ومدها بالحياة والاستمرار والازدهار وديمومة العطاء لتؤدي الوظائف التي وجدت من أجلها ضمن علاقة متوازنة بين المدينة وما يحيط بها ولقد استطاع السومريون أن يوطدوا البعد المساحي لمدنهم على أساس وظيفي أخذت عناصره تمتد وتتسع لتغطي مساحة قد تقتصر على مركز المدينة نفسها وتتسع لتغطي إقليماً فمدينة أريدو التي لم تعد مساحتها تتجاوز المنطقة المقدسة التي ظلت تؤديها إلى فترات تاريخية لاحقة بسبب تدهور العلاقات الإقليمية بين مركزها وأطرافها إذ حصرت المدينة نشاطها السياسي في أداء الطقوس الكهنوتية بينما في مدينة الوركاء فقد كانت عدد القرى المحيطة بها ١٤٦ مستوطنة في نهاية عصر جمدة نصر وتناقص عددها ليصل إلى ٧٦ مستوطنة في فترة السلالات بينما أصبح عددها ٢٤ مستوطنة في نهاية عصر السلالات ثم أصبح ثمانية مدن يدل ذلك على تحول المستوطنات بشكل سريع إلى مراكز حضارية كبرى على حساب القرى الصغرى وبالتأكيد فإن هذا الأمر كان يحصل عبر مراحل تطورية ومرحلة فرض النفوذ التي جاءت بها مرحلة هيمنة المعبد وسلطته الدنيوية إضافة إلى الدينية تطلب ذلك ضم العديد من المستوطنات لحساب المركز الرئيسي من أجل مجابهة مستلزمات نموها وهذا أدى لنوع من التنافس بين المراكز الرئيسية مثل أور والوركاء وكيش وغيرها وظهر الطابع الاقتصادي ليأخذ دوره بالإضافة إلى استمرار سيطرة الطابع الكهنوتي في فرض السلطة والسيطرة على الأطراف والمركز(Adams,1972) . في عصر السلالات كان التنافس ينتهي بالحروب ، إن مؤسسة المعبد في المركز الحضري أشرفت وسيطرت على القرى الزراعية المحيطة وهكذا فقد امتدت هذه القرى شمالاً

باتجاه الوركاء التي أصبحت مركزاً رئيسياً بين مجموعة من القرى الصغيرة التي ساهمت في تموينها فمساحة مدينة الوركاء ٤٠٠ هكتار وسكانها من ٤٠٠٠-٥٠٠٠ نسمة ومساهمة أي قرية لاتزيد عن ١٠ هكتار(Adams,1969) ، وكذلك أور حيث كانت المناطق الريفية التي تحيط بها تمتد حتى مسافة ٢٥ كم جنوباً و ١٢ كم شمالاً وضعف المسافة بينها وبين تل العبيد إلى الغرب و الشمال الغربي وأن هذه العلاقة بين المدينة المركز وما يحيط بها استمر بالظهور مع امتداد التحرك السكاني شمالا وظهور عدد من المدن والمراكز المهمة التي اتسمت بالسعة السكانية والكثافة وأخذت ماتحتاجه من خدمات التموين من الريف المحيط به حيث تميز بالنشاط الزراعي والرعوي بينما قدمت المدينة الخدمات الحضرية الضرورية لهذا فقد كان الاهتمام بالناحية الزراعية والحيوانية كبيرا لأنها عصب حياة تلك المراكز الرئيسية ولهذا فقد ظهرت قنوات هائلة لتأمين مياه وتميز المجتمع السومري بالجد والنشاط وهذا استوجب أعمال جماعية مشتركة واستدعى انجازها هيبة ونفوذا عاليا مكنها من فرض سيطرتها على المجتمع وتمكنت المجتمعات الزراعية عن طريقها من تصعيد قدرتها على التحكم في بيئتها واستغلال المزيد من الأراضي الزراعية التي لم تسهم في زيادة العائد الزراعي فحسب بل في زيادة عدد المستوطنات المحيطة وهذا مايبرر التنافس الذي كان يحصل بين المدن من اجل توزيع السيطرة والنفوذ كالذي حصل بين الوركاء وأور ، حيث حاول حاكم الأخيرة انسي أخذ مركز السيادة والنفوذ من الوركاء التي ظلت مسيطرة على سيادة المعبد بين سائر المراكز الاستيطانية في السهل الرسوبي لهذا ظل حاكم أور يلقب نفسه انسي للدلالة على السلطة الدنيوية والدينية وحاكم الوركاء أخذ لقب لوغال وغيره للدلالة على العظمة والنفوذ السياسي والديني لهذا كانت الألقاب تحمل مدلولاً سياسياً يعتمد على اتساع السلطة من الناحية الجغرافية والدينية(العاني ،٢٠١٠) .

وهذا يدل على أن سعة الأقاليم كانت تنعكس وظيفياً على تشكيل السلطات الدينية والدنيوية وبالتالي على الوظائف الاجتماعية والاقتصادية وقد يكون المحيط الإقليمي سبباً في تحجيم المدينة سكانياً واقتصادياً و عمرانياً عندما يعجز عن مد المدينة المركز بعناصر الحياة اقتصادياً وبشرياً أو في حال العجز عن خلق وظائف جديدة تشكل أساس اقتصادي لتلك المراكز فتزول مقومات الازدهار والتوسع العمراني وبالتالي زوالها وهذا ما حصل في أريدو عندما تقلصت لتصبح مجمعاً دينياً فقط حيث ضعُف محيطها في تأمين احتياجات المركز بسبب انسحاب مياه النهر وعدم البحث عن بديل وقلة المصادر الطبيعية .

لقد أضعفت الهجرة السكانية إلى المدينة نفسها حيث كان الناس ينظرون لشمال الوركاء ونفر حيث توجد مقومات الحياة (العاني ، ٢٠١٠) .

أما مدينة أور كانت مركز لتجميع المواد الغذائية والمنسوجات والمصنوعات التي كانت تزيد حاجتها وحاجة مدن دلتا النهر كافة إذ كان التجار يأتون إليها نهراً وبراً للمقايضة والتموين فكانت هذه أحد عوامل توسعها وشهرتها كمدينة تجارية إضافة إلى قداستها الدينية مما يدل على أن اقتصاديات المدن السومرية كانت تعتمد على الزراعة وتربية الحيوان في قرى الظهير وعلى نشاط المتاجرة والفائض الزراعي عبر موانئها (Kramer,1964) .

وسأذكر المراحل بشيء من التفصيل المراحل التي مرت فيها القرية :

-المرحلة التكوينية (ماقبل القرية – ٦٠٠٠-٩٥٠٠ ق.م :

وتمتد مابين العصر الحجري القديم ونهاية الحجري الوسيط حيث تركزت الحياة في الكهوف (المناطق الجبلية) مثل كهوف براك وشانيدار والسبب في اختيار هذه

المواقع هو الابتعاد عن الحيوانات الوحشية وتجنب فيضانات الأنهار (جرجيس سليمان ، ١٩٧٦) .

-المرحلة التكوينية الثانية (نشوء القرية وتركز استيطانها) :

وتمتد مابين العصر الحجري الوسيط والحجري الحديث ومن أهم مواقعها زاوي جمي حيث ظهرت فيها بيوت التولوس وقرية جرمو التي وجد فيه البيت ذو الشكل الدائري والمستطيل (شكل) ومن أهم المميزات الثقافية لهذه المرحلة دينياً عبادة الآلهة الأم ، اقتصادياً مورست زراعة القمح والشعير وتدجين الماعز والخراف وتطورت صناعة النسيج وصناعة المواد الإنشائية من لبن وأخشاب ، كما توصل الإنسان إلى تقطيع فضاءات بيته بتخصصات مختلفة كموقع الطهي وهو بداية التنور وأماكن للخزن والمعيشة والمنامة ، أما الطرق فكانت أزقة غير منتظمة .

-المرحلة التكوينية الثالثة طلائع وبدايات المدن :

وتمتد مابين العصر الحجري الحديث والحجري المعدني ، حيث شملت مستوطنات وسكان أدوار حسونة وحلف ومن أهم المستوطنات (مستوطنة تل الصوان) التي تقع جنوب سامراء ، لقد تطور نظام النقل والمواصلات وظهرت المعابد الأولى .

ويمكننا إيراد مثال عن قرية تل الصوان العراقية وعن تركيبها الداخلي (البدراوي ، ١٩٩٩) :

١- **السور** : وجد سور ذو أبراج له وظيفة دفاعية حيث يعتقد الدكتور بهنام أبو الصوف أنه أقدم نظام دفاعي في بلاد الرافدين (أبو الصوف ، ١٩٧٥) .

٢- **الأبنية العامة والمساكن** : ضمت المعابد والبيوت السكنية كما تم العثور على المخازن في وحدات مستقلة

٣- **الطرق** : وجدت ثلاثة أنواع من الطرق :

- الأزقة الضيقة غير المنتظمة التي تتوسط المساكن الصغيرة
- الطرق الواسعة التي يقع عليها بعض المساكن الكبيرة والأبنية العامة
- الطرق غير النافذة .

٤- **الساحات المفتوحة والخضراء** .

٥- **الضواحي** : حيث تواجدت خارج السور .

-المرحلة التكوينية الرابعة (انتشار وتوسيع مراكز الاستيطان ٥٠٠٠-٤٠٠٠ق.م

وتمتد مع الفترات (دور حلف – دور العبيد) حيث تطور النقل البري والنهري كما رافق ذلك تطور ثقافي واقتصادي وتكنولوجي ، كما تم استخدام القار في صناعة القوارب ، كما أن المعبد أصبح واضح المعالم والاستخدام حيث سميت الفترة بين ٤٩٠٠ ق.م و ٢٨٠٠ ق.م (فجر السلالات الباكرة) بدور سيادة المعبد (سفر ، ١٩٤٨) .

-المرحلة التكوينية الخامسة (تطور المدن) ٤٠٠٠-٣٥٠٠ ق.م

وترافق فترة العصر الحجري المعدني الأخير في (فترة العبيد الثالث والرابع ودور الوركاء) ، لقد ضم التصميم الأساسي الجديد للمدن مايلي :

- **السور** : وجد بأبراج مراقبة ومحاطاً بخندق كما في تبة كورة في العراق .

- **مركز المدينة** : ضم المعبد الرئيسي للمدينة والمعابد الفرعية الأخرى ، كما ضم المساكن التي كانت بطابق واحد .

- **الميناء والسوق الكبير** : لقد كان في مدخل المدن التي كانت تمثل في غالبيتها على ضفاف الأنهار .

- **الضواحي** : وضمت سكن الفلاحين والرعاة والمزارعين .

-المرحلة التكوينية السادسة (ازدهار المدن ٣٥٠٠-٢٨٠٠ ق.م):

كان هناك متغيرات عمرانية ومن أهم مظاهرها :

- ***السور*** : كسور مدينة جمدة نصر في العراق حيث يعتبر نموذجاً لأقدم سور في السهل الرسوبي .
- ***المعبد*** : تعددت المعابد وظهرت الزقورة لأول مرة .
- ***الميناء*** : كان جزءاً هاماً من المدينة لأعمال التجارة وسكن التجار.
- ***نظام النقل والمواصلات***: ظهر الشارع العريض هنا ، إضافة للشوارع والأزقة .
- ***الساحات المكشوفة والخضراء*** : كانت كثيرة الانتشار وبمساحات كبيرة

- ***المساكن*** : من أهم المظاهر العمرانية هي ظهور القصور في هذه المرحلة ، كما تم استخدام نوع خاص من اللبن أطلق عليه في الألمانية (Riemchen) وهو لبن مستطيل الشكل مربع المقطع .
- ***الأسواق*** : كان ذو أهمية وذلك من خلال ماتم ذكره عن القتال الذي دار بين أنكيدو وجلجامش في سوق البلاد (باقر ، ١٩٧٣) .

وبهذا **يكون الفرق بين المدينة والقرية في محورين** :

الأول : **المتغيرات الأساسية** :

وتمثل خصائص متميزة للإنسان والأسرة وحجم السكان في تلك المستوطنة التي يكون لطبيعة الأرض التي تقع عليها وما تحويه من موارد طبيعية وخصوبة أرض ، معادن ، مياه الأثر الكبير على نمو تلك المستوطنة حيث يتحقق للإنسان فيها نظام معين لحركة المشاة والحيوانات والعجلات داخل المستوطنة ونظام بري ونهري أو بحري خارج المستوطنة يتناسب مع إمكانات وقدرة وتقدم الإنسان وكفاحه وجديته في تحقيق طموحه وطموح المجتمع ، إن ذلك التميز في الإمكانات والقدرة ينعكس على استخدامه المواد الإنشائية ومقدار الاستفادة من تصليعها لتحقيق الهيكل العمراني (أبو الصوف ، ١٩٨٨)

الثاني : **المحددات الرئيسية** :

إن المحددات الرئيسية بمفهومها الاجتماعي والاجتماعي والعمراني والبيئي والتقني والإداري هي المعيار الثاني والأكثر وضوحاً في تقييم الفرق بين المدينة والقرية في نشأتها وتطورها وازدهارها ، إن بساطة نظام الأسرة والمجتمع وعدم تنظيم

علاقة الإنسان بالإنسان من خلال مفهوم عام يربط المجتمع ويديره لايمكن أن يرتقي إلى مستوى نظام الأسرة والمجتمع وطبقاته الأكثر تعقيداً وتقسيماً والذي تكون فيه للأسرة خصوصية متميزة في علاقتها مع المجتمع كما يكون للتقدم الاقتصادي والزراعي والصناعي والتجاري ملامحه التي تميز القرية عن المدينة من خلال مراكز التجارة والصناعات الرئيسية في المدينة في حين تبقى القرية للزراعة وتربية الحيوانات وبعض الحرف اليدوية أما المحددات العمرانية فهي التي توضح مدى تطور العملية التخطيطية والتصميمية من خلال تحقيق التخصص في استعمال وظائف وحجوم الفضاءات ذات الاستعمالات المختلفة إضافة لتحقيق مبدأ الراحة والأمان كما أن تطور العمارة يتضح من خلال مواقع استخدام المواد الإنشائية المصنعة في الجزء الداخلي والخارجي من تلك الأبنية ومدى مقاومتها للظروف البيئية والمناخية في تلك المستوطنة لتؤمن الراحة والأمان .

إن بساطة الاستخدام(في نفس الظروف العامة والفترة الزمنية) في القرية يقابل التعقيد النسبي في المدينة الذي يشبع حاجات المجتمع لتحقيق الرفاه المنشود .

إن للمحددات التقنية لها دور وأثر كبير في التمييز بين القرية والمدينة وذلك من خلال تسيير الإنسان الفكري والمادي لقدراته والإمكانات التي تتوفر (البدراوي ، ١٩٩٩)

سنورد مثالين لمدن في الألف الثالث قبل الميلاد في سورية والعراق وكيفية تخطيطها:

١- **مدينة تل بيدر :**

تم الكشف عن بيوت تقع في حي سكني يندرج بين النماذج التقليدية المعروفة في تخطيط مدن الألف الثالث قبل الميلاد في المنطقة ويتألف الحي السكني من مجموعة متجاورة من البيوت الخاصة من الحجم المتوسط والصغير إضافة إلى أزقة مائلة غطيت قنواتها بحجارة .

أما عن **العمارة الرسمية** : فقد تم العثور على بناء صغير يتألف من ثلاثة غرف لايوجد في هذا البناء موقد أو تنور وهذا أمر غير طبيعي لبيت سكني عثر فيه على رقم حوالي ١٤٠ رقيماً كتابياً .

كما تم العثور على بناء رسمي آخر مساحته ٣٦×٧,٥ م ويتألف من بناء من أربع غرف متشابهة إلى جانب بعضها عرض الواحدة ٥م ، المدخل على الواجهة الغربية وينفتح نحو داخل المدينة والذي يختلف هنا في العمارة الرسمية مع بلاد الرافدين هو أن النوافذ محورية وهذا غير معروف في بلاد الرافدين وكانت النوافذ علوية عرضها ٢,٥م .

القصور: تشابهت مع بلاد الرافدين بالباحة أو صحن تدور حوله الغرف وهذا الصحن له خصوصية تتمثل بأعمدة على جدرانه الشمالية والشرقية والغربية واللافت للنظر في هذا البناء هو نوعيته ووضوح تخطيطه وهو يمثل بكل الوضوح تقاليد العمارة الرافدية وحتى ولو صغر حجمه (Lebeaue , 1990–1992).

فمدينة تل بيدر كانت مدينة دائرية مسورة دائرياً ويظهر لنا السور الخارجي للمدينة مع وجود بعض مداخل المدينة التي تبدو واضحة وقد تم الكشف عن عدة مرافق أهمها :

١- **التل المركزي** : وهو المدينة المرتفعة وهو يحوي الأبنية الرسمية من قصر ومعبد ومرافق أخرى تعلى بخدمة المبنيين الرئيسيين ويتخلل ذلك بعض الشوارع المؤدية إليها والمحيطة بها وقنوات تصريف المياه وهو في القطاع F كما تم الكشف عن خمسة معابد مقامة على أكروبول التل ومن نوع المعابد المبنية على سوية الأرض تحيط بها المباني السكنية (Lebeaue, 2001)(سليمان، ٢٠٠٠) .

بين المعابد هناك شوارع تفصل بينها وكانت المعابد تنتشر مابين المخازن واثنين بنيا تحت مستوى القصر والمعبد الرئيسي وأحدهم هو الرئيسي A والاثنين الأخران(B-C) يقعان تحت المعبد المركزي .

٢- **السور الداخلي** :الذي يحيط بالتل المركزي ويتخلله عدة بوابات وهو مزدوج ويشكل الحماية الأولى للمدينة وهو في القطاع G وهو سور مبني من اللبن الخشن المستطيل في منتصف منحدر التل بعرض ٦,٥ م وتبقى منه طول٥ م باتجاه شرق غرب وارتفاع ٣,٥م ومحيطه يقارب ٣٠٠م ، ويتألف من ستة تدرجات نحو الأسفل يشكل سوراً انزلاقياً ذا هدف دفاعي وذلك لمنع تسلق المهاجمين (Lebeaue and Suleiman 1992-2002).

٣- **السور الخارجي** : الذي يحيط بالمدينة ككل والذي تتخلله بوابات وهو جدار مبني من اللبن الخشن ولكن من أهم ماكُشف فيه هو قبور مصنوعة من اللبن كانت للأطفال في القطاع H (سليمان ١٩٩٢٠-٢٠٠٢).

٤- **المخازن** : وقد بنيت تحت التل المركزي في القطاع E ، هناك مخزن كبير كشف في المدينة العليا تبلغ أبعاده ٢٦×٧,٥ متر سماكة جدرانه ١,٢ متر ، يصل ارتفاع الجدران لحوالي ثلاثة أمتار وهو مبني من اللبن المربع مكون من أربع غرف مربعة ٥×٥ متر تتوضع على صف واحد تفصل بينها أبواب

ضخمة ، المبنى اتجاهه شرق غرب موجه نحو الأكروبول والباب الرئيسي يقع في الجانب الغربي للمدينة العليا على الرغم من عدم وجود حبوب أو مصاطب لكن الشكل المعماري يؤكد أنه مخزن أو مستودع وهناك مخازن تابعة للمعبد حيث تتصل معها بأبواب عن طريق الشارع وهذه المخازن عبارة عن غرف متتالية على صف واحد بعضها يتصل بأبواب فيما بينها والآخر تتفتح أبوابه على الشارع .

٥- **الأحياء السكنية المتعلقة بالسلطة الإدارية** التي لم يكشف عنها إلا بشكل محدود في التل المركزي في المنطقة المجاورة للقصر في الجهة الشمالية وهي في القطاع B ولكن موقع السكن الشعبي يكون في السهل الممتد مابين التل المركزي والسور الخارجي وتسمى المدينة المنخفضة وهو عبارة عن غرف مبنية من اللبن المطلي بالكلس وتحتوي على أحواض جصية ويفصل بينها شوارع صغيرة أو ممرات تسهل الانتقال فيما بينها وهذا هو الحي السكني الذي يقطنه العوام من الناس .

٦- **المخابز**: وهي أبنية تتألف من ثلاث حجرات وكانت تتم فيه عملية طحن الحبوب في إحدى هذه الحجرات التي كانت مرتفعة بالنسبة للحجرتين الباقيتين حيث كان يتم الطحن يتم على طاولات مخصصة لهذا الغرض وتثبت الأرضية المقسمة عملية ضبط الإنتاج وتنظيمه وكانت الحجرتين الباقيتين فرنين كبيرين للخبز.

٧- **الشارع الرئيسي** : يرتبط عبر المحور الجنوبي الشمالي مع الباب الجنوبي للمدينة العليا وكمدخل القصر وكان هذا الشارع يجتاز المدينة بخط مستقيم يسمح بصعود المصاطب التي تتالى في الجزء الجنوبي من المدينة أما الجزء الأعلى قرب مدخل القصر كان مزوداً بقناة وفي الجنوب زود بدرجتين

صغيرتين من اللبن حتى يسمح بالدخول للقطاع الذي تقوم عليه مراكز الحراسة وفي الجنوب شكل درج ضخم مؤلف من بلاطات ضخمة من البازلت تقود إلى ساحة بسيطة مرصوفة تنفتح على معبدين (D-C) ويستمر جنوباً أكثر حيث يتواجد مركز حراسة ثاني.

٨- **الحوانيت والمشاغل** : وهي أبنية مستطيلة الشكل مكونة من عدة غرف مكونة من اللبن قد تكون في بعض الأحيان من ثلاث غرف تفصل بينها ممرات لتسهيل التنقل فيها أو سبعة غرف أبعادها ١٩,٧٠ م طولاً و ٩ عرضاً أو ست عشرة غرفة تشكل تراصفاً من الغرف وهناك مدخلين في واجهتها الشمالية يسمحان بالوصول انطلاقاً من الشارع إلى الممرات المرصوفة التي كانت غير مغطاة (Lebeaue and Suleiman 1992-2002).

٢- مدينة تل طايا :

١- **مركز المدينة** : في مركز المدينة المبنى المركزي وترتكز المباني الأخرى التي لها ارتفاعات كبيرة ٣٥×٤٥ م أو ٣٥×٤٢ م وسماكة جدرانها ١ متر ، كانت هذه الأبنية مكونة من باحات مركزية وسلسلة من الغرف ذات قياس كبير وقد انتشرت هذه الأبنية في شرق المنطقة وهي أبنية رسمية وإدارية تضم الشعب والنخبة ، ولقد كان مركز المدينة مبنياً بشكل كثيف رغم أنه غير منظم .

٢- لقد كانت هناك سلسلة من **الأبنية الخاصة المتمركزة حول التلال** من المؤكد أنه كان لها أثر حاسم في التمدن على الرغم من أنها معزولة وذات ارتفاعات وعلاوة على ذلك كان البعض له منافذ في الشوارع الأساسية ومخدمة من قبل طرق هامة متوضعة في محيط مركز المدينة مع القلعة شكلت تقريباً دائرة يعتقد أن بعض هذه الأبنية معابد كانت من نمط المعبد السوري ذي الأركان والمعبد ثلاثي الأجزاء ويعتقد أن بعض هذه الأبنية كانت مسكونة من القادة للعبادة ولممارسة الشؤون العامة .

٣- المدينة كانت مقسمة لعدة **سلاسل من الجزر** ، سلسلتين من الغرب والشرق تتكون كل سلسلة من سبعة جزر وهناك سلسلة ثالثة وأخيرة في الشمال كما كان حد المدينة شارع طويل كان له وظيفة دفاعية ، كل سلسلة تكونت من خمسة إلى ستة صفوف وكل صف من خمسة إلى ستة قطاعات وهناك جزر تكونت من خمسة وعشرين صف توزعت على شكل خمسة صفوف أم في القطاع الغربي فكان فيه أحد عشر جزيرة أكبرها كانت الجزيرة الثانية أبعادها ٨٠ م عرض و ٧٠ م طول وكانت هناك شوارع تفصل بين تلك الجزر لتشكل خطوط دائرية تحيط بالمدينة ومركزها .

٤- هناك **معابد ثلاثية الأجزاء ومعبد ذو الأركان** محيطة بالمدينة كما تواجد معبد محيط بالقلعة في وسط المدينة بطول ١٥ م وهو قابل للدخول عبر واجهته الجنوبية التي تطل على غرفة رئيسية مطلية بالجص مجهزة بمنصة في مركز طرفها الغربي وبأرضية بعمق ١,٣ م مرتبطة بإناء كبير متمركز حول فتحتها وهناك قناة تصل المنصة والأرضية يبدو أن لها علاقة بالهبات السائلة وهناك موقد في وسط الغرفة ، غرفتان صغيرتان توجدان خلف المنصة في الغرب وغرفة جنوبية كانت مستخدمة لتخزين صناعة الفخار

٥- **القلعة** : هو حصن مكون من صالة كبيرة تطل على غرفتين صغيرتين في الخلف ، الغرفة الرئيسية للحصن تنفتح بشكل مباشر إلى الخارج عثر على موقد يؤكد أن هذه الغرفة كانت تسكن بشكل يومي وكانت هناك منصة كانت مخصصة دون شك لمسؤول إدارة الأعمال وغرفتين صغيرتين كانت لها علاقة مع الوظيفة الإدارية وتحيط بالقلعة مبان أخرى (Dibo,2010)

.

٦- **المباني العامة** : هذه المباني كانت تحيط بالقلعة حيث كان لها وظائف رسمية وإدارية بعضها كان يحوي غرفتين الأولى دخول والثانية صالة مجهزة بنوع من المقاعد منتصبة العمق وهناك نموذج آخر شكله مستطيل مجهز بصف من الغرف على جانبيه الغرف طولها من ١٠ – ١٥ متر وعرضها ٥ متر وقد وجدت دعامات تحمل أقواس يبدو أنه مؤسس ليلبي حاجات دفاعية

بالإيجاز فإن تقسيم المباني العامة لم يكن صدفة بالرغم من الأبعاد القليلة والمبعثرة في المدينة لكن الأكثر ملاحظة هو توضعها في أعلى المدينة بكاملها وهي متوضعة في قوس الدائرة حول مركز المدينة .

هناك طرق أولية تقود مباشرة من محيط الموقع بحيث أنها تلعب دوراً هيكلياً ، إن الهياكل الكبيرة ذات الطابع العام في الواقع تتوزع في المحيط في الشرق – الغرب وهذه سمات تشير إلى انفصال واضح بين القطاع الإداري في الجنوب الغربي والقطاع الإضافي المقام في شمال وفي شرق القلعة .

٧- **الأبنية الاقتصادية** : الأمر يتعلق بالورشات والمحلات الصغيرة والمستودعات وقد كانت نوعين معزولة أو مبعثرة في المباني على سبيل المثال في المبنى VW وجد هيكل صغير معزول يقارب ٢,٥ × ٤,٧٥ م يحتوي على أربع غرف بحجم ١,٢٥ × ٢,٢٥ م ، إن حجمه ومخططه يقترحان وظيفة تخزينية وعلى نفس الصعيد نلاحظ وجود غرف صغيرة متوالية في المباني لايتجاوز ٢ م من جهة هذا النوع من البناء لايتوافق مع المبنى يعتقد أن له وظيفة تخزينية .

من بريق الصوان وهذا مايقود المنقبين إلى التفكير في ورشات التقطيع ، إن منطقة ورشات الفخار كانت معروفة في شرق الوادي الشرقي من قبل الكميات الكبيرة من أجزاء السيراميك المرتبطة بأفران وهناك يمكننا ملاحظة تركيز الأحجار مع الهياكل ذات الطبيعة الخاصة التي يمكن أن تتوافق مع النشاطات الاقتصادية دون التمكن من إعطاء دقة أكثر . وهي أبنية ضخمة كأنها تملك وظيفة صناعية ، إن الغرف في الطرف الغربي كانت في أعلى الوادي الذي تغير مجراه ، إن هذا التموضع على ضفة الوادي يشير إلى أنشطة مرتبطة بالحاجة للماء كالصباغة والدباغة مثلاً . كما وجدت أراضي مسورة وكبيرة في المحيط الشمالي قد تكون استخدمت من أجل الماشية ومرتبطة ببعض الغرف الصغيرة لتكون ملجأ للرعاة .

نلاحظ أن المناطق الصناعية والورشات تتركز في محيط المدينة كما أشار المنقبين كما أن بعض النشاطات كانت تتم ممارستها في المباني (Dibo,2010)

المراجع العربية :

١- **أبوالصوف** بهنام ، ١٩٧٥ - **التنقيبات في تل الصوان** . مجلة سومر ، المجلد السابع ، بغداد أرقام الصفحات
٢- **أبو الصوف** بهنام ، ١٩٨٨- **موسوعة المدينة والحياة المدنية** . الجزء الأول ، بغداد ، رقم
٣- **البدراوي** عدنان مكي ،١٩٨٥ - **نشأة المدينة العراقية الأولى** ، حضارة العراق ،المجلد الثالث، بغداد
٤- **البدراوي** عدنان مكي ، ١٩٩٩ - **المدينة الأولى** ، حضارة العراق . بغداد ،
٥- **العاني** محمد ، ٢٠١٠ - **أصالة المدينة كوحدة جغرافية تخطيطية** . دمشق ٢٠١٠
٦- **باقر** طه ،١٩٧٣ - **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة** ، بغداد
٧- **سفر** فؤاد ، ١٩٤٨ - **حفريات أريدو وسومر** ، مجلة سومر ، المجلد الرابع ، بغداد
٨- **سليمان** أنطوان ،٢٠٠٠- **تقرير أولي عن حفريات تل بيدر** ، دمشق
٩- **سليمان** أنطوان ٢٠٠٢-١٩٩٢ - **عشر سنوات من التنقيب في تل بيدر** ، دمشق
١٠- **سليمان** موفق جرجيس ، ١٩٧٦ - **عمارة البيت العراقي في عصور ماقبل التاريخ ، بغداد**
١١- **كوردن** جايلد ، ١٩٤٢- **ماذا حدث في التاريخ** ، ترجمة جورج حداد ، الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة
١٢- **مكاي** دوروثي ، ١٩٥١- **مدن العراق القديم** ، ترجمة يوسف مسكوني ، مطبعة بغداد ،
١٣- **ممفورد** لويس، ١٩٦٤ - **المدينة عبر العصور** ، ترجمة ابراهيم نصحي ، مطبعة مصر ، الجزء الأول ، القاهرة

المراجع الأجنبية :

1) ADAMS R.,1969- **THE STUDY OF ANCIENT MESOPOTAMIA SETTLEMENT PATTERNS AND PROBLEM OF URBAN ORIGINS** . SUMMER,25,

2) ADAMS R., 1972- **PATTERNS OF URBANIZATION IN EARLY SOUTHER MESOPOTAMIA** ,

3) DIBO S .,2010- **L,URBANISME DANS LE MONDE SYROMESOPOTAMIA AU iii MILLENAIRE AV.J.C.** UNIVERSITE PARIS I ,2010 ,VOL1

4) Kramer S.N.,1964- the sumerriens .the history culture and charectors ,the university of Chicago press 1964

5) Lebeaue,M . SULAIMAN,A. OFFICIAL EARLY DYNASTIC ARCHITECTURE AT TELL BYDAR ,SEASONS 1990-1992

6) Lebeaue,M . BRETSCH NEIDER EN SYRIE AUX ORIGINES DE LE) (٦CRITURE2001

7) LEBEAU,M. SULEIMAN,A. TELL BEYDAR –NABADA AN EARLY BRONZ AGE ,CITY IN THE SYRIAN JAZIERA 1992-2002

8) MUMFORD.L ,THE Natural history of Urbanization,University of Chicago press 1958,p383-385

بإنشاء نظام جديد قام بتغيير كل المفاهيم السابقة التي كانت سائدة في الماضي سياسياً واقتصادياً ومعمارياً .

الكلمات المفتاحية: بلاد مابين النهرين – المدينة القديمة – علم الآثار

Abstract Resume

THE VILLAGE WAS PASSED IN MANY STAGES BEFOR IT BECAME ACITY FROM 9000 B.C , THE CITY CONSIST OF TEMPLES AND PALACES IN THE CENTRE,STREETS,OPPENING COURTYARDS,PORTS,AND PRIVATE HOUSES WHICH WERE VARIOUS IN MANY THINGS IN THE VILLAGE.

I TALKED ABOUT THE STEPS WHICH VILLAGE PASED ACROSS HISTORY AND THE DIFFERENCE BETWIN THE CITY AND VILLAGE , AND STUDY TWO SAMPLES ABOUT BAYDAR CITY IN SYRIA AND TAYA CITY IN IRAQ AND ITS CONSTRUCTIONS .